إبراهيم أبراش

# جنون ترامب وحكمة الرئيس أبو مازن

لأن الولايات المتحدة ليست دولة كغيرها من الدول ليس لأنها فقط الأقوى عسكرياً واقتصادياً بل لأنها تطرح نفسها كعنوان ونموذج عالمي للديمقراطية، فإن ما يجري في واشنطن وإن كان في جزء كبير منه شأن أمريكي داخلي ويعود للشعب والمؤسسات الأمريكية الحكم والتقدير إن كان ما يجري يؤكد على نجاعة الديمقراطية الأمريكية وقدرتها على حسم الأمور في النهاية لصالح الدولة والمصلحة الوطنية العليا أم أن الأمر يتطلب إعادة النظر في النموذج الديمقراطي الأمريكي وخصوصاً النظام الانتخابي، بالرغم من ذلك سيفتح ما يجري في واشنطن مجمل السياسة الخارجية الأمريكية في عهد ترامب .

 أن تصل الأمور في واشنطن بعد اقتحام أنصار ترامب لمبنى الكابيتول رمز الديمقراطية والسيادة الأمريكية لدرجة أن يطالب مشرعون وسياسيون بإعمال التعديل 25 من الدستور لعزل الرئيس ترامب، وهي المادة التي تسمح بعزل الرئيس في حالة عدم قدرته على إدارة البلاد لأسباب صحية أو عقلية ، فهذا لا يعني فقط النهاية السياسية للرئيس ترامب وخروجه بطريقة غير مشرِفة وإمكانية محاكمته على ما ألحقه بالمجتمع الأمريكي من أضرار، بل أيضاً سيفتح المجال لإعادة النظر في مجمل سياساته وما اتخذ من قرارات في السياسة الخارجية وخصوصاً في قضايا الشرق الأوسط.

في بداية عهده تفرعن ترامب واستكبر على الجميع وتصرف وكأنه سيد العالم، فابتز دولاً وخصوصاً العربية الخليجية وهدد أخرى واحتقر القانون الدولي والأمم المتحدة وتجاوز كل الأعراف الدولية، نافقه كثير من الزعماء اتقاء لشره أو اعجاباً بشخصه، ووقف في وجهه وتصدى له دون الدخول في صدام مباشر معه بعض القادة الأوروبيين ودول من خارج أوروبا كفنزويلا وإيران، ولكن الرئيس الوحيد الذي وقف في وجهه علناً بل وشتمه ورفض الرد على مكالمته تليفونياً كان الرئيس الفلسطيني أبو مازن، رئيس الشعب الفلسطيني ورئيس الكيان الأضعف والأكثر حاجة للمساعدات والأموال الخارجية وخصوصاً الأمريكية والخاضع لاحتلال دولة الكيان الصهيوني أهم حلفاء ترامب في العالم.

 قيل عن الرئيس أبو مازن أنه ضعيف الشخصية ومسالم لدرجة استفزت حتى أقرب الناس إليه من الفلسطينيين، وعندما تصدى للرئيس ترامب وقاطع الإدارة الأمريكية استغرب كثيرون بل وشكك البعض في صدق مواجهته لترامب ورفضه لصفقته المشبوهة، واتهمه البعض من العرب وحتى الفلسطينيين بالتهور والتسرع وأن الشعب الفلسطيني سيدفع ثمن موقف أبو مازن غير الحكيم في رأيهم، متسائلين على ماذا يعول أبو مازن في تصديه لرئيس أعظم دولة في العالم؟.

 من أين استمد أبو مازن القوة ليقف في وجه ترامب؟ هل هو بعد نظر وإدراك بأن ترامب لن يعمِر في الحكم طويلاً ؟ أم حكمة وتبَصر بأن الخضوع لسياسة ترامب ولصفقة القرن يعني تصفية القضية الفلسطينية؟ أم هي وطنية متقدة إن كانت بالغت في المناورة والمساومة إلا أنها ثارت وانتفضت عندما لم يعد هناك مجال للمناورة عندما تُمس المقدسات والثوابت الوطنية وتهان الكرامة الفلسطينية؟.

بالرغم من الانتقادات التي يمكن توجهها للرئيس أبو مازن في العديد من القضايا الداخلية وفي مراهناته المبالَغ فيها على المنظمات الدولية والشرعية الدولية كطريق وحيد للحصول على الدولة، إلا أنه يستحق كل التقدير والاحترام على موقفه الشجاع والحكيم والوطني في التصدي للرئيس ترامب، ولو ظهرت أية بادرة ضعف من الرئيس ابو مازن تجاه ترامب المخلوع لكانت القضية الفلسطينية في حكم المنتهية.

 انساقت وخضعت بعض الأنظمة العربية لابتزاز ترامب وطفله المدلل كوشنير وكان التطبيع مع إسرائيل أبرز مظاهر الخنوع لسياسة ترامب، فماذا ستقول الأنظمة المطبعة بعد ما جرى لترامب والتهم الموجهة له بما فيها الاختلال العقلي والإضرار بالمصالح العليا للولايات المتحدة؟ وما هو مصير السياسات الاتفاقات التي تمت في عهده حول قضايا الشرق الأوسط وما مدى ثباتها واستمراريتها؟ وبأي وجه ستواجه الأنظمة المطبِعة شعوبها وهي ترى سندها وحاميها وكاشف سترها ينتهي بهذه الطريقة المذلة؟.

 لا نعتقد أن الرئيس الأمريكي الجديد جو بايدن سيلغي كل الاتفاقات التي تمت في عهد ترامب أو سينقلب على الكيان الصهيوني أو سيطلب من الدول العربية المطبعة التراجع عن التطبيع، بل سيوظف كل ما جرى لمصلحة الولايات المتحدة ولكنه لن يضمن أمن واستقرار الأنظمة العربية حتى التي طبعت مع إسرائيل، لأن العالم لن يحترم إلا الدول التي تحترم نفسها وتكون سياساتها صادرة عن إرادة شعوبها وليس انصياعاً لإرادة هذا الرئيس الأمريكي أو ذاك، حتى التحالف مع إسرائيل وتعميق العلاقة معها وهي الكيان الاستعماري العنصري لن يشكل حماية للأنظمة ولن يكون مشرفاً للشعوب العربية والإسلامية، وستثبت الأيام خطورة التحالف مع إسرائيل وسيكون حال الدول المطبعة حال الذي أدخل الدب إلى كرمه.

Ibrahemibrach1@gmail.com